



# عقيدة أهل السنة في كلام الله والرد على شبهات المخالفين

إعداد فضيلة الشيخ

د. عبد العزيز آل الشيخ

## المحتويات

- ٢ ..... مقدمة
- ٣ ..... من أدلة أهل السنة على أن كلام الله غير مخلوق
- ٥ ..... من الأدلة على أن القرآن غير مخلوق
- ٧ ..... شبهات القائلين بأن القرآن مخلوق
- ٨ ..... الشبهة الأولى: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾
- ٩ ..... الشبهة الثانية: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾
- ١١ ..... الشبهة الثالثة: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾
- ١٣ ..... الشبهة الرابعة: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم﴾
- ١٤ ..... الشبهة الخامسة: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾
- ١٥ ..... الشبهة السادسة: استدلالهم بقوله: ﴿فلما أتاها نُودي من شاطئ الوادي الأيمن من الشجرة﴾
- ١٥ ..... الشبهة السابعة: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾
- ٢٠ ..... مسألة أن القرآن بدأ من الله وسيعود إليه
- ٢٠ ..... كلام الله يتفاضل
- ٢١ ..... من الأدلة على أن الكلام يكون لفظياً ونفسياً
- ٢٤ ..... مسألة: حكم من قال لفظي بالقرآن مخلوق
- ٢٦ ..... خلاصة معتقد أهل السنة في كلام الله
- ٢٧ ..... خلاصة مذهب الإمام أحمد في مسألة اللفظ
- ٢٨ ..... مسألة تبديع الإمام الذهلي للإمام البخاري في مسألة اللفظ
- ٣٠ ..... الطوائف المخالفة لأهل السنة في كلام الله

## عقيدة أهل السنة في كلام الله.. والرد على شبهات المخالفين

- ٣١ ..... الفرق بين الأشاعرة والكلابية في كلام الله.
- ٣٢ ..... لازم قول الأشاعرة أن القرآن مخلوق.
- ٣٣ ..... التفطن لقول بعض المعتزلة بأن القرآن غير مخلوق.
- ٣٣ ..... تناقض الأشاعرة في الاستدلال ببيت الأخطل على أن الكلام نفسي فقط.
- ٣٥ ..... الجواب على شبهة أن جبريل -عليه السلام- أخذ القرآن من اللوح المحفوظ.
- ٣٦ ..... معنى قول النبي ﷺ: (اقرأوا الزهراوين، البقرة وآل عمران).

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته..... أما بعد:

فهذا تفرغ لدرس (عقيدة أهل السنة في كلام الله والرد على شبهات المخالفين) الذي ألقيته في ٢٧ / ١١ / ١٤٢٨ هـ، فراجعته، وأضفت إليه بعض التعديلات، ووضعت له فهرساً.

أسأل الله أن ينفع به، ويتقبله، ويجعله ذخراً عند لقاءه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

د. عبد العزيز بن ريس الريس

المشرف على موقع الإسلام العتيق

١٧ / ٦ / ١٤٣٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد..

ففي يوم السابع والعشرين من شهر ذي القعدة لعام ثمانٍ وعشرين وأربعمائة وألف من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ألتقيكم في درس بعنوان (عقيدة أهل السنة في كلام الله والرد على شبهات المخالفين).

إنه قد كثر في هذا الزمان كلام أهل البدع وتشكيكهم في معتقد أهل السنة في أمور كثيرة من ذلك: اعتقاد أهل السنة في كلام الله، حتى ظهر كثير من المتعلمين وتَعَجَّب من تكفير أهل السنة للقائلين بأن كلام الله مخلوق، لأجل هذا نأخذ في هذا الدرس: عقيدة أهل السنة في كلام الله وما تيسر مما هو متعلق بذلك.

اعلموا أن أهل السنة يعتقدون أن كلام الله غير مخلوق، ومن كلام الله القرآن كما سيأتي بيانه:

فأولاً: أذكر أدلة أهل السنة على أن كلام الله غير مخلوق ثم أدلة أهل السنة على أن القرآن الذي هو من كلام الله غير مخلوق.

استدل أئمة السنة وأئمة السلف بعدة أدلة أذكر ما تيسر منها:

الدليل الأول: قوله تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}.

قالوا: في هذه الآية بيان أن كلام الله غير مخلوق من وجهين:

الوجه الأول: العطف فعطف الأمر على الخلق يقتضي أن الأمر غير الخلق فإن الأصل في العطف في لغة العرب أنه للمغايرة، فإذا كان لله الخلق وهم مخلوقون فله شيء آخر غير مخلوق وهو أمره سبحانه وتعالى، ومنه القرآن فهو من وحيه. ويوضح ذلك:

الوجه الثاني: أن الله تعالى فسر الأمر بكونه وحيه وكلامه، قال تعالى: **{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ}**.

ويبين أن هذا الأمر يخلق به وهو كلامه كما قال تعالى: **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** فبالأمر خلق المخلوقات فكيف يكون مخلوقاً؟ فدل هذا على أن كلام الله غير مخلوق بهذين الوجهين.

وقد استدل بالدليل الأول الإمام سفيان بن عيينة كما عند الآجري والإمام أحمد كما في كتاب المحنة، وكذلك ذكروا الوجه الثاني.

الدليل الثاني على أن كلام الله غير مخلوق قوله تعالى: **{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ}** وقوله تعالى: **{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي}**.

وجه الدلالة من هاتين الآيتين:

هو أن كلام الله لا ينفد والأمر الذي لا ينفد ليس مخلوقاً فإن المخلوقات تنفذ وتنتهي وبهذا استدل الإمام البخاري في كتابه (خلق أفعال العباد) وكذلك استدل عثمان بن سعيد الدارمي في رده على

الجهمية وكذا قوأم السنة في كتابه الحجة. وذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل والنقل وفي كتابه منهاج السنة.

الدليل الثالث على أن كلام الله غير مخلوق ما ثبت في مسلم من حديث خولة بنت حكيم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك».

وجه الدلالة من هذا الحديث: أنه لا شيء يعيد من جميع الشرور إلا الله سبحانه. وصفات الله منه، فلما أجاز النبي صلى الله عليه وسلم الاستعاذة بكلام الله دل هذا على أن كلام الله غير مخلوق لأنه أُسْتَعِيدَ به في أمر لا يقدر عليه إلا الله فدل هذا على أنه صفة وصفته غير مخلوقه وبهذا استدل الإمام نعيم بن حماد والإمام أحمد رحمهما الله تعالى.

بعد هذا أذكر الأدلة على أن القرآن غير مخلوق لأن ما تقدم هي الأدلة على أن كلام الله غير مخلوق، وكلام الله أشمل من القرآن.

الدليل الأول: كل ما تقدم من الأدلة الدالة على أن كلام الله غير مخلوق فهو يدل على أن القرآن غير مخلوق لأن القرآن من كلام الله تعالى كما قال تعالى: **{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}**.

وقال تعالى: **{أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ}** وكلام الله المراد في الآية الأولى وفي الآية الثانية هو القرآن فإذن كل دليل يدل على أن كلام الله غير مخلوق يدل على أن القرآن غير مخلوق لأنه من كلام الله.

الدليل الثاني قوله تعالى: {إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي}.

وجه الدلالة: أنه لو كان القرآن مخلوقاً لكان في القرآن دعوة إلى عبادة غير الله فيقول المخلوق - أي بزعمهم القرآن - إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدي وهذا دعوة للشرك وهذا قطعاً خطأ لأن الأدلة كثيرة على أن العبادة خاصة بالله فلا تكن لمخلوق قال تعالى: {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} وقال تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} وقال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ}.

فدل هذا على أن الآية لا تكون لمخلوق وإنما هي خاصة بالله فعليه يكون القرآن غير مخلوق بل هو من صفة من صفاته. واستدل بهذه الآية الإمام يحيى بن سعيد بن قطان كما روى ذلك الإمام عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة وكذا الإمام البخاري كما في كتابه "خلق أفعال العباد" ورواه أيضاً الإمام البخاري عن سليمان بن داود الهاشمي وهم من أئمة السلف المعروفين.

الدليل الثالث على أن القرآن غير مخلوق قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ}.

وجه الدلالة:

أنه جعل الإنسان مخلوقاً والقرآن معلماً فهو من علم الله فدل هذا على أنه غير مخلوق ويؤكد ذلك قوله تعالى: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لِّمِنَ الظَّالِمِينَ} والمراد بالعلم في هذه الآية علم الله وعلم الله هو القرآن ومن قال إن علم الله مخلوق فقد خالف أول سورة الرحمن في قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ} فقد جعل القرآن معلماً ولم يجعله مخلوقاً كالإنسان. ويلزم من هذا أن الله جاهل حتى خلق علمه هذا فعلمه بعد جهله وهذا كفر



والعياذ بالله كما استدل بهذا الإمام أحمد فمن قال إن القرآن مخلوق فقد نسب الجهل إلى الله بمقدار القرآن وأنه لم يعلمه إلا بعد خلقه.

الدليل الرابع على أن القرآن غير مخلوق إجماع أهل السنة فقد حكى الإجماع طائفة من أهل العلم كالبعوي واللالكائي والإمام أبي عثمان الصابوني في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث، والإمام ابن القيم كما في مختصر الصواعق.

وروى الدارمي والبيهقي وغيرهما بإسناد صحيح عن عمرو بن دينار أنه قال: (أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون الله الخالق وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود) وهذا الأثر واضح في أن القرآن صفة من صفات الله تعالى لأنه منه بدأ وإليه يعود، وعمرو بن دينار أدرك جمعاً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أدرك جابر بن عبد الله وأبا سعيد الخدري وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير كما ذكر ذلك الإمام إسحاق بن راهويه فيما رواه البيهقي في كتابه الأسماء والصفات.

بعد ذكر أدلة أهل السنة على أن كلام الله غير مخلوق وعلى أن القرآن غير مخلوق نتكلم عن (شبهات وأدلة القائلين بأن القرآن مخلوق).

والقائلون بأن القرآن مخلوق هم الجهمية والمعتزلة فهم يصرحون بأن القرآن مخلوق ولهم شبهات وأدلة أذكرها وأذكر جواب أهل السنة عليها.

والأشاعرة المبتدعة لا يصرحون بأن كلام الله مخلوق ولكن آل كلامهم ولازم قولهم في القرآن هو القول بأنه مخلوق كما أقر بهذا اللازم الرازي، فيما نقله الإمام ابن تيمية في كتابه التسعينية.

وهذا اللازم لهم لأنهم يقولون إن القرآن لم يتلفظ الله به وإنما هو معنى في نفسه وكتبه في اللوح المحفوظ وأتى جبريل - كما هو قول طائفة منهم - وقرأه من اللوح المحفوظ وأتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

أو كما تقول طائفة منهم أوحاه الله إلى جبريل بدون أن يتكلم به ثم جاء جبريل فكلم النبي صلى الله عليه وسلم به. إذن هذا القرآن الذي بين أيدينا لم يتكلم الله به فهو على قولهم أمر مخلوق وهذا لازم قولهم لما أنكروا الكلام اللفظي ولم يقرؤا إلا الكلام النفسي.

نرجع إلى (شبهات المخالفين في باب كلام الله).

الشبهة الأولى: قالوا قال تعالى: {اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} قالوا ويدخل في قوله كل شيء كلامه سبحانه لأن كل من ألفاظ العموم والرد على هذا الاستدلال وكشف هذه الشبهة من أوجه منها:

الوجه الأول: أن عموم كل يكون بحسب السياق فإذا قال الرجل لرجل اضرب كل من في هذا البيت فلا يدخل القائل في هذا الكلام، فعموم كل يعرف بحسب السياق كما ذكر ذلك الأصوليون كالزركشي في كتاب البحر المحيط وذكر ذلك الشاطبي في كتابه الموافقات والإمام ابن تيمية في كتابه مجموع الفتاوى. فعموم كل يكون بحسب السياق وبحسب القرائن المتصلة والمنفصلة قال تعالى: {تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا} قطعاً السماء لم تدمر والأرض لم تدمر فهي دمرت من حكم الله عليه بالتدمير وهذا يتبين بحسب السياق، إيضاح قوله تعالى: {اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} لا يدخل في ذلك صفاته ومنه كلامه لأن الخالق هو الله والله هو الذات بصفاته، فالله خالق كل ما من شأنه أن يكون مخلوقاً ما عدا ذاته وصفاته.

الرد الثاني لمن قال: أنكم أيها المعتزلة تقولون {اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} وتقولون أن الله قد خلق كل شيء ومن عقيدتكم أن أفعال العباد غير مخلوقة فهذا تناقض منكم إما أن تأخذوا بعموم {اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} فتقولون أن أفعال العباد داخلة في عموم كل فهي إذن مخلوقة وإما أن تكونوا متناقضين باستدلالكم بعموم هذه الآية لأنكم لم تأخذوا بعمومها في أفعال العباد.

أما أهل السنة فيقولون إن أفعال العباد مخلوقة لعموم قوله تعالى: {اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} ويرون أن عموم كل يختلف باختلاف السياق وأن الخالق غير المخلوق، والله خالق كل ما من شأنه أن يكون مخلوقاً ما عداه سبحانه ومنه سبحانه فصفاته التي منها كلامه غير مخلوقة لأنه من الله وداخلة في عموم قوله {اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}.

الشبهة الثانية: يقولون إن الله تعالى يقول {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}.

قالوا وجعل بمعنى خلق في اللغة فمعنى هذه الآية {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} أي خلقناه وقالوا ذلك في قوله تعالى:

{وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ} أي وخلق الظلمات والنور ورد على هذا أئمة السنة وقالوا إن جعل تأتي بمعاني عدة فإذا نصبت مفعولاً واحداً فقد تأتي بمعنى خلق أما إذا نصبت مفعولين لم تكن بمعنى خلق البتة ومن ذلك قوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِّآيَاتِنَا} فالله لفظ الجلالة مفعول أول، عرضة مفعول ثاني وليس معنى جعل هنا أي خلق فليس معنى الكلام (ولا تخلقوا الله) والعياذ بالله لأن جعل تنصب مفعولين فإذا نصبت مفعولين لم تكمن بمعنى خلق البتة.

ومن ذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} جعلوا فعل وفاعل والقرآن مفعول

أول وعضين مفعول ثاني فجعل هذا نصبت مفعولين فهي إذن لا تأتي بمعنى خلق البتة.

ومن ذلك ما استدلووا به وهو قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} فالمفعول الأول الضمير هاء والمفعول الثاني قرآنًا فإذن جعل في الآية التي استدلووا بها تنصب مفعولين فهي ليست بمعنى خلق البتة كما تقدم.

وقد ذكر أن جعل إذا نصبت مفعولين لا تأتي بمعنى خلق جمع من أئمة السنة وأئمة البدعة ممن لهم معرفة باللغة. فقد ذكر ذلك الزمخشري المعتزلي وأقر به في كتابه الكشاف وكذلك أقر بذلك القرطبي في تفسيره، وذكر ذلك الإمام ابن القيم في شفاء العليل، وذكره غير واحد ممن كتب في اللغة.

لكن صنيع الإمام أحمد في الرد على الزنادقة والجهمية يدل على خلاف ذلك وذلك أنه في قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتِينَ} فسر جعل بمعنى خلق مع أنها نصبت مفعولين المفعول الأول الليل والمفعول الثاني آيتين لأن قوله تعالى وجعلنا فعل وفاعل والليل مفعول أول والنهار معطوف وآيتين مفعول ثاني ومثل ذلك قوله تعالى: {وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا}، الشمس مفعول، أول وسراجًا مفعول ثان، فقد يقال: إن الإمام أحمد يخالف في مثل هذا - والله أعلم -.

ومع هذا لا ممسك لأهل البدع في هذه الآيات في القول بأن القرآن مخلوق، وذلك أن الإمام أحمد رد بما ملخصه: أن جعل جاءت بمعنى خلق، وجاءت بمعنى غير خلق، فإذا كانت جعل تأتي بمعنى خلق، وبغير معنى خلق، فالاستدلال على أن القرآن مخلوق بآية تدل على أن القرآن مجعول لا يصح؛ لأنه استدلال محتمل، وإذا توارد الاحتمال بطل الاستدلال، وقيده العلماء بالاحتمالات المتساوية، كما يدل على ذلك صنيعهم، ونص على هذا ابن قدامه وغيره إذا سقط استدلالهم بقوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} لاسيما والأدلة الأخرى دلت على أنه غير مخلوق. هذا ملخص جواب الإمام أحمد في كتابه الرد على الزنادقة والجهمية.

الشبهة الثالثة استدلوا بقوله تعالى {مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٌ} فقالوا: المحدث هو المخلوق، فإن المحدث لا يكون إلا بمعنى المخلوق، فقالوا في معنى {مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٌ} أي المراد بالذكر القرآن، فوصف الله الذكر بأنه محدث، فدل هذا على أنه مخلوق، وقد ردّ على هذا أئمة السنة من أوجه:

الوجه الأول: قالوا إن القرآن علم الله، وعلم الله قديم أزلي، ويدل على أن القرآن من علم الله قوله تعالى: {وَلَكِنَّ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ...} قالوا والإحداث هو بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع القرآن هو بالنسبة إليه محدث وليس محدثاً بالنسبة لله لأنه علمه وعلمه قديم أزلي ومن جعل القرآن الذي هو من علم الله محدث بالنسبة لله بمعنى أنه ما كان عالماً به فعلمه بعد ذلك فقد نسب الجهل إلى الله وهذا كفر لأنه تنقص للباري سبحانه، وقد بين هذا الإمام أحمد كما في رده على الجهمية والبخاري، كما في كتابه (خلق أفعال العباد) وقوام السنة كما في كتابه الحجة.

الوجه الثاني في الجواب على شبهتهم هذه أن الإحداث في القرآن يرجع إلى أفراده بمعنى أن كلام الله قديم في نوعه، أما من جهة آحاده وإفراده فهو يتجدد بحسب الحوادث، يتكلم به الله متى شاء وكيفما شاء، وإلا فإن الله مستطيع من الكلام من قديم بقدمه سبحانه وتعالى، لأن الكلام صفة من صفاته لكن أفراد الكلام يكون بحسب الحوادث وبحسب ما شاء الله، فالله تكلم لما سمع المجادلة وأنزل قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} فسمع الله كلام المجادلة فتكلم بقوله {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ...} فهذا الكلام محدث بمعنى أنه جديد بحسب الحوادث فيرجع إلى مشيئة الله تعالى وكل أفعاله ترجع إلى مشيئته.

ويلخص هذا أهل السنة في قولهم كلام الله قديم النوع (أي قديم بقدم ذاته) متجدد الآحاد يعني متجدد الأفراد، افراده يتجدد بأن يتكلم الله به متى شاء.

ذكر هذا الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى وفي درء تعارض العقل والنقل، ومنهاج السنة.

ثم ذكر أمرًا دقيقًا وهو أن قول المتكلمين أنه محدث بمعنى مخلوق قال: هذا خطأ، فالمحدث هو الذي حدث بعد غيبة، ولا يلزم من ذلك أن يكون مخلوقًا، فالله تكلم بكلام قبل، ثم حصل أمر فتكلم به بعد ذلك فهو محدث بالنسبة إلى الذي قبله، وأمثلة هذا بمثل إذا قرأت أول سورة الفاتحة {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} الرحمن الرحيم محدث بالنسبة لقوله الحمد لله رب العالمين، فالإحداث كما في قوله تعالى: {مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٌ} وهو الذي حدث بعد غيبة ولا يلزم من ذلك أن يكون مخلوقًا.

الجواب الثالث: هو أن في الآية {مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٌ} ما يدل على أن القرآن غير مخلوق، ففيها رد على أهل البدع بدليلهم نفسه، وذلك أن الصفات للنكرات تفيد التخصيص، فإذا قال قائل (ما جاءني من رجل عدل) دل هذا على أن الرجال صنفان: عدل وغير عدل، فهو يقول: ما جاءني من رجل عدل، يعني جاءه رجل غير عدل، فعدل صفة لرجل فأفاد التخصيص.

وأيضًا في قوله تعالى: {مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٌ} دليل على أن ذكر الله نوعان: محدث وغير محدث، فإذا قالوا: محدث بمعنى مخلوق. وقالوا: إن القرآن مخلوق؛ لأنه محدث، وهو ذكر الله.

فيقال: إن الله ذكر أن ذكره هنا محدث، فدل هذا على أن له ذكرًا آخر غير محدث، وهذا ما لا تقولون به، وقد ذكر هذا قوام السنة في كتابه: الحجة. وذكره الإمام ابن تيمية.

الشبهة الرابعة عند من قال: إن القرآن مخلوق هو أنهم استدلوا بقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} قالوا: عيسى مخلوق، وهو كلمة الله، فدل هذا على أن كلام الله مخلوق، ومن ذلك القرآن.

فقالوا: الآية صريحة في ذكر أن عيسى كلمة الله وعيسى باتفاقنا واتفاقكم يا أهل السنة مخلوق، فهو إذن كلام الله مخلوق، فكيف تقولون إن كلام الله صفة من صفاته، ولا يكون مخلوقًا، رد على هذا أئمة السنة بأمر يتضح المراد منه: بمعرفة أن المصدر في اللغة يكون بمعنى اسم الفاعل واسم المفعول، ما معنى ذلك؟

قال تعالى: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} خلق مصدر يطلق، ويراد به: المخلوقات، ويطلق: ويراد به فعل الخلق (التخليق)، فإذا أريد به المخلوقات فيكون المصدر معنى اسم المفعول، وإذا أريد به فعل التخليق فيكون المصدر بمعنى اسم الفاعل. إذا تبين هذا فقد بين الله سبحانه أن عيسى عليه السلام خلق بكلمة كنّ فخلق بكلام الله فكيف يكون من كلام الله الذي يخلق وهو خلق بكن. ذكر الله هذا في ثلاثة مواضع من كتابه من ذلك:

قوله تعالى: {قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ} ثم قال في آخر الآية {إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} وقال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ} ثم قال له {كُنْ فَيَكُونُ} فدل هذا على أن عيسى مخلوق بكلام الله، فقوله {وَكَالِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} الكلمة المراد

بها هنا اسم المفعول؛ لأنه خلق بكلمة كن بخلاف قوله تعالى: {فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} فكلام الله هناك مصدر يراد به اسم الفعل. وهذا له أمثلة لكن قد يقول قائل ما الدليل على أن قوله {فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} المصدر هنا بمعنى اسم الفاعل وفي قوله: {وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} المصدر هنا بمعنى اسم المفعول؟

الأدلة دلت على ذلك، وقد تقدم على أن القرآن غير مخلوق، فإذا تبين هذا، فإطلاق الكلام عليه يرجع إلى صفة الله، فيكون مصدر في قوله {حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} يرجع إلى اسم الفاعل، أما عيسى فدلت الأدلة على أنه مخلوق فيكون قوله {وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} يرجع إلى اسم المفعول، وقد ذكر هذا الإمام أحمد في رده على الجهمية والبخاري في كتابه خلق أفعال العباد، وقد ذكر نحوًا من ذلك قتادة من التابعي، كما خرجه ابن جرير في تفسيره.

شبهتهم الخامسة قوله تعالى: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا} وجه الدلالة:

قالوا إن أمر الله وكلامه قدرًا مقدورًا أي مخلوق هذا قول الجهمية والمعتزلة والقائلون بأن القرآن مخلوق.

رد عليهم أهل السنة بقولهم إن إطلاق أمر يرجع إلى الأمر المخلوق والأمر غير المخلوق فيقولون أمر مصدر، والمصدر إما يراد به اسم الفاعل، وإما يراد به اسم المفعول، وإما يراد به الفعل، وإما يراد به المفعول.

فإذا قيل الأمر فيما يراد به المأمور أو الأمر نفسه فقوله تعالى: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا} المراد هنا أي المأمور فيرجع هذا إلى المفعول كمثل قوله تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} فقوله تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} فيراد به الأمر نفسه وفعل الأمر نفسه، وأما إن أريد بالأمر المفعول



صار بمعنى المخلوق فكيف نقول إن معنى الآية (ألا له الخلق والخلق) فنعطف الخلق على الخلق والأصل في العطف أنه يقتضي المغايرة، إذن قوله {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا} الأمر هنا المراد به المأمور وهو مخلوق والمصدر في قوله (أمر) يرجع إلى اسم المفعول أما المصدر في قوله {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} فيرجع إلى اسم الفعل أي إلى الفعل نفسه كما تقدم.

ذكر هذا شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل، وكذا في مجموع الفتاوى.

الشبهة السادسة: استدل القائلون بأن القرآن مخلوق من الجهمية والمعتزلة وغيرهم بقوله تعالى: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ}.

فقالوا: الشجرة هي المتكلمة؛ لأنه قال: {مِنَ الشَّجَرَةِ}، فنسب النداء إلى الشجرة.

ورد أهل السنة بردود منها:

قوله تعالى: {يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} وهل يمكن لمخلوق أن يقول: إني أنا الله رب العالمين ويقره الله سبحانه؟ ومما في الآية: أنه نداء، والنداء يكون من بعيد، والشجرة قريبة، فإن قيل: وما يكون معنى {مِنَ الشَّجَرَةِ}؟ فيقال: هي لابتداء الغاية، ذكر هذا الآجري في كتابه الشريعة وابن تيمية في كتابه شرح الأصفهانية وفي مجموع الفتاوى وابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية.

الشبهة السابعة: استدلوا بقوله تعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} فقالوا هذه الآية صريحة في

أن القرآن قول رسول كريم ليس قول الله سبحانه ورد أهل السنة على هذا من أوجه:

الوجه الأول: أنهم قالوا إن الله في سورة الحاقة قال: **{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ}** والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي سورة التكوير ذكر الله الآية نفسها **{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ}** والمراد به جبريل كما دل على ذلك السياق لأنه قال **{ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ}**.

فهل تقولون إن القرن هو كلام محمد صلى الله عليه وسلم وكلام جبريل؟

وإنما المراد بقوله **{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ}** أي أنه لقول رسول كريم أي قاله الرسول نقلًا من عند الله.

الوجه الثاني: أنه عبر بلفظ رسول في حق جبريل وحق محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذا إشارة إلى أنه مبلغ عن غيره وهو الله سبحانه فإن الكلام في اللغة إذا أطلق إنما يضاف لمن ابتدأه بخلاف القول إذا أطلق قد يضاف إلى من ابتدأه وقد يضاف إلى من نقله، فإذا قال أحدنا (إنما الأعمال بالنيات) فسأله من هذا كلامه فيقول لك كلام محمد صلى الله عليه وسلم فتقول له من قال لك هذا الكلام الآن؟ فيقول أنت.

فالقول قد ينسب إلى قائله وقد ينسب إلى من نقله بخلاف الكلام فإنه لا ينسب إلا لمن أنشأه.

وأيضًا مما رد به أئمة السنة في استدلال القائلين إن القرآن مخلوق بهذه الآية **{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ}** بقولهم أنه لازم هذا أن يكون قولكم كقول كفار قريش لما قالوا (إنه لقول بشر) وكفرهم الله بذلك، فإذا أصررتهم على ذلك صرتم كفارًا كحال كفار قريش.

هذا ملخص ما ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى وفي الرد على البكري.

ومما يقرره أهل السنة أن كلام الله راجع في افراده إلى مشيئة الله ولهم أدلة كثيرة على ذلك

منها:

قوله تعالى: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى} فالنداء كان بعد إتيان موسى فدل على أن هذا النداء

متجدد. ومن الأدلة قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} فكلما أراد شيئاً

تكلم سبحانه بقوله كن.

وهنا يؤكد على أن جميع المخلوقين خلقوا بكلمة كن إلا أن الله خص عيسى بقوله (وكلمته)

هذا من باب التشريف فكل مخلوق خلق بكلمة كن لكن خص عيسى بكونه كلمة الله هذا من

باب التشريف.

ومن أدلة أهل السنة على أن كلام الله في إفراده راجع إلى المشيئة هو إثبات صفة السكوت

لله، فأهل السنة يثبتون صفة السكوت لله، وهذا يرجع إلى أفراد الكلام.

ودليل إثبات هذه الصفة الإجماع، كما ذكر ذلك ابن تيمية رحمه الله تعالى وللفائدة: ثبت عن

أبي داود وغيره عن ابن عباس أنه رضي الله عنهما قال (كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون

أشياء.... فبعث الله نبيه.... وأحل حلاله وحرم حرامه فما أحل اهو حلال وما حرم فهو حرام

وما سكت عنه هو عفو.... الخ.

فاستدل بعضهم أن في هذا الحديث إثبات صفة السكوت لله، والظاهر - والله أعلم - أنه ليس في هذا الحديث إثبات صفة السكوت لله، وذلك لأنه ليس المراد بالسكوت هنا عدم الكلام، وإنما المراد عدم ذكر الحكم في هذا الشيء.

فإذا سئل سائل: ما حكم كذا؟ يقول: لم يأت فيه تحريم ولا تحليل يعني مسكوت عنه، فمعنى أنه مسكوت عنه: أي لم يذكر فيه حكم.

إذن فمعنى السكوت في هذا الحديث وأمثاله: أي عدم ذكر الحكم الشرعي فيه بنهي أو إباحة بتحريم أو حل، بخلاف معنى السكوت الذي يقابل الكلام.

ما دليل إثبات صفة السكوت؟!

الدليل الإجماع كما حكاه ابن تيمية رحمه الله، وأهل السنة يرون الإجماع حجة وأول من خالف في حجية الإجماع النظام المعتزلي كما ذكر ذلك ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله، وكذلك ذكره ابن قدامة وغير واحد من أهل العلم.

ومن الأدلة أيضًا على أن كلام الله راجع إلى المشيئة قوله تعالى: **{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ}** لما سمع الله قول المجادلة، تكلم الله بهذا الكلام، فدل على أن كلامه يتجدد بحسب الحوادث، فخلاصة معتقد أهل السنة أنهم يقولون إن كلام الله من حيث الأحاد والإفراد يتجدد، أما من حيث النوع فهو قديم.

تنبيه (١): ثبت عن ابن أبي شيبة وابن جرير والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرهم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: **(إن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك**

**مفرقاً بحسب الحوادث)** هذا الأثر في ظاهره أنه يؤيد مذهب الأشاعرة في أن الله لم يتكلم بأفراد القرآن بحسب الحوادث، وكلامه قديم وقرآنه قديم لذا نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا.

إن في هذا الأثر تأييداً لمذهب الأشاعرة القائلين بأن الله لا يتكلم بإفراد الكلام، وإنما كلامه كلام نفسي، ولهذا استدل البيهقي في كتاب الأسماء والصفات والبيهقي أشعري، فلا يستغرب أن يستدل بمثل هذا الأثر في تأييد مذهب الأشاعرة، وقد رد على هذا أئمة أهل السنة ومنهم شيخ الإسلام.

وهو أنهم قالوا إن القرآن مكتوب قبل أن يتلفظ الله به وليس معنى كونه مكتوباً قبل أن يتلفظ الله به (إنه قديم النوع وقديم الأفراد)، كلا فإن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق، كتب كل ما هو كائن، ومما هو مكتوب في اللوح المحفوظ القرآن، فكتابه القرآن في اللوح المحفوظ يعني أن المجادلة ستجادل ويتكلم الله بقوله { **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا...**  } فهذا مكتوب قبل، ولا يلزم من كتابته قبل أن الله لا يتكلم به إذا جاء وقته.

فمثلاً الآن، أنا أكلمكم وهذا مكتوب في اللوح المحفوظ، فإن قد قدر كل شيء، وليس معنى كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل أن كلامه هذا يعتبر قديماً، فالمكتوب في اللوح المحفوظ أنه سيكون كذلك أني سأتكلم بكذا.

وكلامي في الواقع يعتبر متجدداً، ويعتبر جديداً، فإذا القرآن مكتوبٌ قبل في اللوح المحفوظ، ومكتوب أيضاً بصفة أخرى؛ وهذه الصفة ما ينزل إلى السماء الدنيا، وليس معنى كتابته قبل أن الله لم يتلفظ به لا تلازم بينهما، كما تقدم في اللوح المحفوظ وهذا هو معنى كلام عبد الله بن

عباس رضي الله عنهما، فعليه لا يكون فيه ممسك للأشاعرة في قولهم إن كلام الله قديم، وأن الله متكلم به في القدم، وكلامه نفسي.

تنبيه (٢): هو أن الله قال: **{وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ}** أي القرآن، وما معنى هذا؟ ذكر ابن جرير وغيره أي أن ذكر القرآن في كتب الأولين كالتوراة والإنجيل لا أن القرآن كله في كتب الأولين وإنما المراد ذكره.

وبعد هذا انتقل إلى مسألة عند أهل السنة وهي: (أن القرآن بدأ من الله وسيعود إليه) فالله تكلم بالقرآن ابتداءً ومعنى أنه سيعود إليه أي أن القرآن في آخر الزمان يرفع من المصاحف ولا يبقى في الأرض.

تقدم قول عمرو بن دينار (أدركت أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فمن دونهم من سبعين سنة يقولون الله الخالق وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود) فهو يحكي كلام أهل السنة.

وقال الإمام أحمد: أن هذا هو اعتقاد أهل السنة؛ وهو أن القرآن بدأ من الله، وإليه سيعود. وحكى على ذلك إجماع أهل السنة الإمام ابن تيمية - رحمه الله -.

وهناك مسألة أخرى هي: (أن كلام الله يتفاضل) والدليل على ذلك ما خرج مسلم من حديث أبي ابن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أبا المنذر أبي بن كعب (ما أعظم آية في كتاب الله؟ فذكر أبي ابن كعب أن أعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي، فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال: ليهنك العلم أبا المنذر) فدل هذا على أن القرآن يتفاضل وعلى أن كلام الله يتفاضل، لأن القرآن من كلام الله، أيضًا من الأدلة على ذلك ما ثبت في البخاري من حديث

أبي سعيد ابن معلى أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم (ما أعظم سورة في كتاب الله؟ فذكر له سورة الفاتحة) صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر ابن تيمية أن هذا قول جمهور السلف والأئمة، بل قال وهو الذي يدل عليه الشرع والعقل وهو أن كلام الله يتفاضل ومن ذلك القرآن. وأهل السنة يثبتون الكلام اللفظي والنفسي فلا يثبتون الكلام اللفظي فحسب ولا الكلام النفسي فحسب بل يثبتون الكلام اللفظي والنفسي ويجعلون النوعين حقيقيين نسب ذلك ابن تيمية إلى أهل السنة وذكر ذلك في التسعينية وفي العقيدة الوسطية وفي غيرها من كتبه.

ومما يدل على أن الكلام النفسي والكلام اللفظي موجودان ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه» وهذا هو الكلام اللفظي فإذن أهل السنة يقرون بالكلام النفسي والكلام اللفظي خلافاً للأشاعرة والكلابية كما سيأتي وهم أنهم لا يثبتون إلا الكلام النفسي دون الكلام اللفظي.

ومن الأدلة الدالة على أن الكلام يكون لفظياً ونفسياً ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يتجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم».

في هذا الحديث ذكر الكلام اللفظي والنفسي أما النفسي فقوله: «ما حدثت به أنفسها» أما اللفظي فقوله: «ما لم تعمل أو تتكلم» فالمراد بالكلام هنا هو الكلام اللفظي.

وفي هذا الحديث ما يدل على أن الأصل في الكلام أنه لفظي ولا ينتقل عن هذا إلا للدليل، يدل أنه لما أراد الكلام النفسي قيده بقوله: «ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم» أما الكلام فلم يقيده في قوله: «أو تتكلم» باللفظي؛ لأنه هو الأصل وهنا بعض الأدلة الدالة على أن الكلام لفظي ليس نفسي فحسب.

### الدليل الأول:

ما تقدم ذكره من قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يتجاوز لأمتي...» فهذا فيه إثبات الكلام اللفظي كما تقدم. ومثله قوله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» هذا يدل على إثبات الكلام اللفظي لما قال: ذكرته في ملأ خير منه.

### الدليل الثاني:

ما ثبت في مسلم من حديث معاوية بن الحكم قال صلى الله عليه وسلم: «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس» ولذا علق البخاري عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن مما أحدث أن لا تتكلموا في الصلاة» والمراد بالكلام هذا الكلام اللفظي لذلك من تكلم به بطلت صلاته بخلاف الكلام النفسي وهو حديث النفس، فهذا لا تبطل به الصلاة بالإجماع كما تقدم ذكره.

### الدليل الثالث:



على أنه يوجد كلام لفظي قوله تعالى: {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} هذا صريح على أن هذا اللفظ سمي كلامًا، لأنه يخرج من الفم فهو كلام لفظي.

#### الدليل الرابع:

ما ثبت في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» فسمى هذا اللفظ كلامًا وقال: خفيفتان على اللسان. فدل على أنه ملفوظ، وفيه دليل على إثبات الكلام اللفظي.

#### الدليل الخامس:

حديث معاذ الذي أخرجه الترمذي والنسائي وهو ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وإنا يا رسول الله لمؤاخذون بما نتكلم به، قال: «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» فسمى الكلام لما قال (وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به) سمي هذا الكلام هو ما تلفظ به اللسان في قوله (حصائد ألسنتهم).

#### الدليل السادس:

أن الكلام يكون بصوت ولا يكون بصوت إلا الكلام اللفظي أما النفسي فليس بصوت ومن الأدلة على أن الكلام يكون بصوت كل دليل فيه أن الله نادى أحدًا من خلقه، فإن النداء لا يكون إلا بصوت كما قال تعالى: {إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} فالنداء للبعيد ولا يكون إلا بصوت كما بين ذلك أهل اللغة.

ومن أدلة إثبات الصوت لله وهذا يلزم منه إثبات الكلام اللفظي: قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي علقه البخاري «فيناديهم بصوت يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد».

وفي هذا رد على البيهقي لما قال: لم يصح حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في إثبات الصوت لله. فيقال: هذا حديث عبد الله بن أنيس ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد علقه البخاري جازماً به فهو صحيح عند البخاري، ثم يقال: لو قدر جدلاً أنه لم يثبت حديث فيكفينا كل آية فيها إثبات النداء لله، لأن النداء لا يكون إلا بصوت.

### الدليل السابع:

أن على هذا إجماع أهل السنة ولم يقل بهذا أحد من أهل البدع إلى أن خرج ابن كلاب فتبعه أبو الحسن الأشعري، كما ذكر السجزي في كتابه إنكار الصوت والحرف والرد على من أنكر الصوت والحرف، ونقل ذلك ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى.

### مسألة:

اللفظ بالقرآن: ما المراد باللفظ بالقرآن وما حكم من قال لفظي بالقرآن مخلوق؟

أول من قال لفظي بالقرآن مخلوق: هو حسين الكرابيسي، كما ذكر ذلك قوام السنة، وذكر عن جمع كثير من أهل السنة أنهم بدعوة لأجل هذا.

واعلموا أن قول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق هذا مصدر، فإذا كان مصدرًا فهو إما أن يرجع إلى اسم الفاعل أو إلى اسم المفعول، إما أن يرجع إلى الفعل فعل التلطف، وإما أن يرجع إلى

نفس الملفوظ، فإذا قال قائل: الحمد لله، ثم قال: لفظي بقولي الحمد لله، فقد يريد بهذا تلفظه وقد يريد بهذا ما تلفظ به وهو قول الحمد لله.

فإن أراد ما تلفظ به وهو القرآن فهذا كفر وإن أراد ذات التلفظ أنه مخلوق لأنه من أفعال العباد، لذا إذا سمعنا قراءة القرآن فالمسموع هو القرآن وإن كان فعل التلفظ فعل العبد لكن المسموع هو القرآن ويدل على ذلك قوله تعالى: {فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}.

وأيضاً قال تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ} يستمعون كلاماً قد تلفظ به المخلوق ومع ذلك سماه قرآناً، فدل هذا على أن سماع القرآن من المخلوق يسمى قرآناً، وإن كان ذات التلفظ مخلوقاً بل مما يدل على ذلك:

ما ثبت عن الإمام أحمد وأبي داود من حديث البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «زينوا القرآن بأصواتكم» فيه بيان أن ما يسمع يسمى قرآناً، وفيه بيان أن هناك فرقاً بين تلفظ المخلوق بأصواتكم المخلوقة ففرق هذا الحديث بين ذات التلفظ وبين الملفوظ.

وأيضاً مما يدل على أن القرآن إذا كتب في الأوراق سمي قرآناً وله أحكام القرآن ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو. سُمي ما كتب قرآناً.

إذن إذا تكلمت بالقرآن فذات التلاوة والتلفظ مخلوق والصوت مخلوق؛ أما المتلفظ به وهو القرآن فهو غير مخلوق. وبعض الناس يخطئ فيظن أن أئمة أهل السنة إذا قالوا من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع يظنهم يقولون إن ذات التلفظ وذات القول غير مخلوق فهذا خطأ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من قال الأصوات المسموعة صوت الله هو ضال مخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول وقال قولاً لم يسبق إليه، ومن قال صوتي قديم فقد ابتدع. ومن اعتقد أن صوته غير مخلوق فيجعله قديماً فهذا خطأ أو يجعل القرآن المتلفظ به يجعله مخلوقاً فهذا كفر كما تقدم.

### خلاصة معتقد أهل السنة:

أنه إذا قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فإما أن يرجع إلى ذات التلفظ اسم الفاعل فهذا مخلوق، وإما أن يرجع إلى الصوت فهذا مخلوق، وإما أن يرجع إلى الملفوظ وهو القرآن فهذا غير مخلوق.

وهنا أذكر أقوال الإمام أحمد في هذه المسألة لأن الإمام أحمد اشتهر بها فساذكر ما يبين مذهبه

- رحمه الله -.

فإن الكثيرين أخطأوا في فهم كلام الإمام أحمد حتى ظنت طائفة من أصحابه أن الصوت نفسه مخلوق وسيأتي.

خلاصة مذهب الإمام أحمد في اللفظية أنه يقول: من أطلق لفظي بالقرآن غير مخلوق فهذا مبتدع، بل وصفه بقوله كما في السنة للخلال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع لا يكلم. ثم ذكر رحمه الله كفر من أراد باللفظ الملفوظ أي أراد القرآن، فإن قال: لفظي بالقرآن مخلوق ويريد الملفوظ، فقد ذكر أنه كفر كما في السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، قال الإمام أحمد: كل من يقصد من القرآن بلفظ أو غير ذلك يريد به مخلوق فهو جهمي. وهذا صريح في أنه يكفر من قال: لفظي بالقرآن ويريد القرآن، أما إن قال: لفظي بالقرآن ولا يريد القرآن، فلا يكفر به، بل يبدع به كما سيأتي.

وروى البيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح عن الإمام أحمد أنه قال:

من قال: لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو كافر. وإن قال القائل: لفظي بالقرآن

مخلوق، ويفرق بين الملفوظ وهو القرآن وبين فعل العبد، فمثل هذا لا يكفره الإمام أحمد.

لذا قال رحمه الله كما تقدم: يريد به القرآن. وفي رواية أخرى قال: يقصد به القرآن، فهو كفر

من قال لفظي بالقرآن وهو يريد القرآن، وأيضاً الإمام أحمد كما روى حنبل بإسناد صحيح عاتب

أبا طالب لما فهم من كلام الإمام أحمد أنه يكفر بهذا مطلقاً، وبين رحمه الله أن هناك فرق بين

الأميرين.

فخلاصة مذهب الإمام أحمد أنه رحمه الله يفرق واقعياً بين من قال لفظي بالقرآن مخلوق

ويريد الملفوظ "القرآن"، وبين من قال لفظي بالقرآن مخلوق ويريد ذات التلفظ ذات فعل العبد،

فالأول الذي يريد القرآن يكفره الإمام أحمد، أما الثاني فلا يكفره ولكنه يبدعه.

ومن قال أيضاً: لفظي بالقرآن غير مخلوق يبدعه؛ لأنه قد يريد بهذا ذات التلفظ ونحوه من

أفعال العباد، فإذا قال قائل ألفاظي غير مخلوقة فهو مبتدع لأنها في الواقع مخلوقة.

فإن قيل: هل الإمام أحمد لا يفرق بين اللفظ وفعل العبد وبين الملفوظ وهو القرآن. فيقال:

بلى فقد تقدم ذكر نصين عنه يدل على هذا رحمه الله تعالى. بل وله وكلام صريح ذكره إبراهيم في

رسالته قال كنت جالساً عند الإمام أحمد فقبل له: إن عندنا قومًا يقولون إن ألفاظهم بالقرآن

مخلوقة فقال الإمام أحمد يتوجه العبد لله بالقرآن بخمسة أوجه ثم قال: وهو فيها غير مخلوق حفظ

بقلب وتلاوة باللسان وسمع بأذان ونظر ببصر وخط بيد، فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق

والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق يريد بذلك القرآن فكلام الإمام أحمد في التفريق بينهما واضح.

لماذا الإمام أحمد رحمه الله بدع من قال لفظي بالقرآن وفرق بين فعل العبد وبين القرآن

الذي هو كلام الله؟

يقال للإمام أحمد بدع هذا لأمرين:

(١) أنه محدث بالنسبة إليه كما ذكر ذلك الإمام أحمد في كلامه لأبي طالب.

(٢) أن أهل البدع يأتون بالألفاظ المجملة ليمرروا باطلهم فالجهمي لا يستطيع أن يقول القرآن مخلوق بين العامة وعند الأئمة، ولو قاله كفروه فأتى بلفظ مجمل وهو قوله لفظي بالقرآن مخلوق، فأهل السنة يظنون أنه يقصد فعل العباد (التلفظ) وهو يريد القرآن لفظه فسد الإمام أحمد هذا الباب حتى لا يتجرأ به أهل البدع على أهل السنة.

قد يقول قائل قد اشتهر الخلاف في مسألة اللفظي بين الإمام البخاري والإمام الذهلي وكلاهما من أئمة السنة، فالزهري رحمه الله تعالى وهو شيخ البخاري بدع من قال لفظي بالقرآن مخلوق كان مذهبه كمذهب الإمام أحمد وشدد على من قال لفظي بالقرآن مخلوق حتى لو أراد التلفظ فسد الباب كفعل الإمام أحمد.

أما الإمام البخاري كما في صحيحه، وكما في خلق أفعال العباد ذكر الفرق بين قول القائل لفظي بالقرآن مخلوق وقال: إذا أراد التلفظ فهذا جائز ولا شيء فيه ولا يبدع، وإذا أراد الملفوظ وهو القرآن فهذا يكفر، أيهما أصوب؟ وقد شدد الزهري على البخاري، بل بدعه لأجل قوله هذا وقد كان الزهري متبعاً للإمام أحمد، فأبي القولين أصوب، هل هو تفسير البخاري أم سد الزهري للباب وتبديعه من خالف؟؟

أجاب على هذا الإمام ابن القيم كما في مختصر الصواعق وقال كلاماً مفاده:

أنه لما كان الباب مغلقاً في وقت الإمام أحمد ومن قبله، فلا يصح التفصيل ويمنع الناس؛ لأن اللفظ محتمل للحق والباطل، وإذا كان اللفظ محتمل للحق والباطل، فيرد حتى لا يتجرأ به في تقرير الباطل، أما وقد شاع الكلام في المسألة كما هو في وقت البخاري فلا بد من التفصيل لاسيما وقد فهمت طائفة أن الأصوات نفسها غير مخلوقة، وطائفة أخرى تجرأت بهذا في تقرير أن القرآن مخلوق لكن إذا أتى بهذا اللفظ المجمل، فإذا شاع هذا الأمر فلا بد من التفصيل.

ومن لا يقول إن القرآن مخلوق ولا يقولون إنه غير مخلوق: الواقفة؛ فهم يقولون: نحن متوقفون. وقد شدد عليهم الإمام أحمد رحمه الله وقال كما في رواية ابنه صالح في المحنة قال هم الجهمية فمرة جعلهم كفاراً كما في رواية سلمة بن شديد عنه كما أخرج ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد وفي كتاب السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد قال: قال الإمام أحمد: هم شر من الجهمية فالإمام أحمد شدد في الواقفة.

فإن قيل: لم يثبت شيء عن الصحابة ينص على قولهم إن القرآن غير مخلوق؟

فإن قال: أن أسير على مذهب الصحابة فلا أقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق فيقال: لو كان زمنك زمن الصحابة لوسعك ما وسعهم بمعنى أنه لو لم يقال في زمانك إن القرآن مخلوق لوسعك أن تسكت لأنه من المعلوم أنه غير مخلوق، أما وقد شاعت هذه الفتنة فلا بد من بيان الحق، والسكوت عن بيان الحق في وقت شيعة الفتنة يدل على أنك موافق لأهل الباطل وإلا لماذا تسكت ولا تبين الحق، بل ينبغي أن يشدد على مثل هذا أكثر لأن الناس قد يفتنون به أكثر من غيره ولذلك قال الإمام أحمد في كتاب السنة (هم أشر من الجهمية).

تنبيه: يستدل أهل السنة على أن القرآن غير مخلوق بأنه منزل فيقولون القرآن منزل ويستدلون بقوله تعالى: {**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**} وأمثالها من هذه الآيات.

قد يعترض معترض على هذا الاستدلال ويقول إن كون القرآن منزل لا يدل على أنه غير مخلوق فقد يكون الشيء منزل ويكون مخلوقاً كالحديد في قوله تعالى: {**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**} وأيضا في قوله تعالى: {**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**} فالماء المنزل من السماء فهو منزل وهو مع ذلك مخلوق فلا تعارض بينهما وكذلك الحديد منزل وهو مخلوق أجاب على هذا الإمام ابن تيمية في شرح حديث النزول وكذا أجاب الإمام ابن القيم كما في مختصر الصواعق وذكر أن المنزلات ثلاثة أقسام:

١. منزل من عند الله وهو القرآن {**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**}.

٢. منزل من جهة المخلوق كإنزال المطر من السماء.

٣. منزل لكن لم تذكر الجهة التي نزل منها.

قالوا فالقسم الثاني والثالث مخلوقان أما القسم الأول فهو غير مخلوق لأن التنزيل أضيف إلى أنه من عند الله.

أنتقل بعد ذلك إلى بيان المخالفين في الباب، والمخالفون في الباب كثير كما ذكر ذلك ابن تيمية في منهاج السنة وابن القيم في مختصر الصواعق وابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية لكن أشهر المخالفين طائفتان:

**الطائفة الأولى:**



وهم القائلون بأن القرآن مخلوق كالجهمية والمعتزلة وقد تقدم الرد عليهم وتقدم ذكر الأدلة مبينة خطأ قولهم، والطائفة الثانية وهم الكلابية والأشاعرة وخلاصة مذهبهم أنهم يقولون: إن الكلام معنى واحد قديم قائم بذات الله فليس هو لفظي بل نفسي قائم بالذات وعبر عنه بالعربية، فإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة فهم يرون أن كلام الله واحد وهو قديم قائم بالذات.

فلا يعتقدون الكلام اللفظي وقد تقدم الرد عليهم، ولا يعتقدون أن الكلام يتجدد وقد تقدم ذكر أدلة أهل السنة على أن أفراد الكلام يتجدد، بعد هذا أذكر تنمات تتعلق بمذهب الأشاعرة والكلابية هذا من حيث الأصل وقد يتعلق بغيرهم. وقبل ذكر هذه التنمات نؤكد على ما سبق ذكره أن قول الأشاعرة والكلابية والنسبة إليه كما ذكر ذلك السجزي وأن ما ذكره محدث أحدثوه هم وقالوا إن الكلام نفسي وليس لفظياً.

### نذكر التنمات:

**التمة الأولى:** تقدم أن أول من قال بالكلام النفسي دون اللفظي هم الأشاعرة والكلابية لكن قد يقول قائل هل مذهبها واحد أم بينهما فرق؟

فيقال بينهما فرق من جهة أن الكلابية يقولون القرآن الذي بأيدينا هو حكاية عن كلام الله، أما الأشاعرة فهم يقولون بل هو عبارة عن كلام الله.

وهما من حيث المحصلة واحد إلا أن بينهما فرقاً ذكره ابن تيمية رحمه الله كما في المجلد ١٢ من مجموع الفتاوى وهو أن الحكاية مأخوذة من المحاكاة والتقليد فلو تكلم رجل بكلام فجاء آخر فقلد لفظه فيقال حاكاه، وجاء الثاني وبين مراده بلفظ آخر وبمعنى واحد فهذا يسمى عبارة، فالكلابية يقولون إن القرآن حكاية عن كلام الله، أما الأشاعرة فيقولون إن القرآن عبارة عن كلام الله.

التتمة الثانية وقد تقدم ذكرها:

أن لازم قول الأشاعرة أن القرآن مخلوق وقد اعترف بهذا اللازم الرازي كما تقدم فإن قال قائل إن لازم هذا أن القرآن مخلوق فإذا كان كذلك فلماذا لا تكون الأشاعرة كفاراً؟

يقال المقرر عند أهل السنة أن لازم المذهب ليس مذهباً ولا يكفر عند أهل السنة باللوازم لذا أئمة السنة على تبديع الأشاعرة، ومن كفرهم فهم قلة قليلة لم يوافقهم غيرهم وهم الأكثر، لأن التكفير من باب اللازم، والنبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار». قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين: إن سب الدهر ليس كفراً وإن كان يرجع إلى الله لأن هذا من باب اللازم.

التتمة الثالثة:

لازم قول الأشاعرة بأن الله لم يتكلم بالقرآن لفظاً لازم قولهم أن المصحف الذي بين أيدينا ليس كلام الله ولا له حرمة وهذا غير صحيح ولازم لهم ذلك التزامه بعدهم كما حكاه علي بن حمد

المراغي عن بعض الأشاعرة فيما نقل ابن حزم في كتابه (الفصل) وإذا رجعت إلى شرح الباجوري على متن (الجوهرة) الأشعري تراه يؤكد هذا الكلام وأن المصحف الذي بين أيدينا ليس كلام الله.

التتمة الرابعة:

بعض المعتزلة يقولون إن القرآن غير مخلوق فيفرح بذلك السني لكن الواقع أنهم يعبرون بذلك وهم يريدون أنه غير مفترى فالخلق يطلق بمعنى الافتراء فإذا رأيت المعتزلي يقول القرآن غير مخلوق فيريد بذلك أنه غير مفترى كما ذكر ذلك ابن تيمية في منهاج السنة.

التتمة الخامسة:

اعتمد الأشاعرة في إثبات الكلام النفسي دون اللفظي على بيت للأخطل النصراني وهو

قوله:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما . . . جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

قالوا قوله إن الكلام لفي الفؤاد وإنما أي: أن الكلام النفسي هو الموجود في الفؤاد والذي

يعبر عنه باللسان دليل عليه والرد على هذا من أوجه:

الوجه الأول في الرد عليهم:

أنهم متناقضون غاية التناقض في استدلالهم ببيت الأخطل النصراني وذلك أنهم يردون

الأحاديث المرفوعة عن النبي صلى الله عليه وسلم مع كون أسانيدھا صحيحة بزعم أن أحاديثھا

آحاد فكيف يقبلون كلام نصراني ويردون ما هو ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم بزعم أنها

آحاد مع أن كلام النصراني هذا من جنس الآحاد.

الوجه الثاني في الرد عليهم:

أن هذا البيت مكذوب على الأخطل فليس موجوداً في ديوانه كما ذكر ذلك جمع من الماضين وكذلك من المعاصرين ومن المعاصرين عبد السلام محمد هارون معروف باللغة ذكر ذلك في حاشيته على كتاب البيان والتبيين ذكر أنه لم يجد في هذا البيت في ديوان الأخطل وكذلك ذكره محمد عبد صالح محي الدين في تعليقه على شذور الذهب ذكر أن هذا البيت ليس موجوداً في ديوان الأخطل.

الوجه الثالث في الرد عليهم:

أن الموجود في ديوان الأخطل كما ذكره أبو البيان فيما نقله ابن القيم في الصواعق هو قول (إن البيان) بدل (إن الكلام):

إن البيان من الفؤاد وإنما . . . جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

أما قوله (إن الكلام لفي الفؤاد) فهذا ليس موجوداً.

الوجه الرابع في الرد عليهم:

أنه لو سلم صحة هذا البيت وأن الأخطل نطق به فإنه لا يقبل منه لأن النصارى قد ضلوا في باب الكلمة وجعلوا عيسى هو الكلمة وجعلوه إلهاً فهذا البيت إذا خرج من نصرائي فلا يقبل لأنه قد يكون متأثراً بعقيدته في باب الكلام.

الوجه الخامس في الرد عليهم:

إن معرفة معنى الكلام أمر شائع لا يتوقف فيه على بيت واحد في لغة العرب فإن الأولين والآخرين يتكلمون به ويعرفون معنى الكلام فلا يحتاج إلى معرفة إلى مثل هذا البيت من الأخطل.

الوجه السادس في الرد عليهم:

ليس من طريقة العرب أن يذكروا التعريفات على الوجه الذي قرره المناطقة بأن يكون جامعاً مانعاً في فالعرب إذا ذكروا كلاماً فعرفوه فإن تعريفهم ليس على وجه الحدود والتعريفات التي يذكرها المناطقة بأن يكون جامعاً مانعاً وإنما قد يعرفون الشيء ببعض معناه ومن ذلك قال يقال في هذا البيت أن الأخطل ذكر بعض الكلام وهو الكلام النفسي وليس معنى هذا نفي الكلام اللفظي.

هذا ملخص ما ذكره ابن تيمية في المجلد ٦ و ٧ مجموع الفتاوى وما ذكره ابن أبي العز الحنفي الطحاوي.

**التمة السادسة:**

وهي إجابة على شبهة يذكرها الأشاعرة وغيرهم وهو قول أن جبريل عليه السلام أخذ القرآن من اللوح المحفوظ يعني لم يتكلم الله به ولم يسمعه جبريل من الله أو يقولون ألهمه الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أو يقولون ألهمه الله جبريل وقالوا إن الله لا يتكلم بالكلام اللفظي وأجابوا على ما يدل أن جبريل نزل بالقرآن بأنه:

(١) إما أن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ مباشرة.

(٢) أو أن الله ألهمه جبريل عليه السلام وألهمه محمد صلى الله عليه وسلم.

والرد على هذا من أوجه وهو أن يقال:

١. أن الله جعله منزل منه في قوله: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}.

فلما جعل الله القرآن منزل منه هذا يدل على أن جبريل ما أخذه من اللوح المحفوظ بل نزل من الله بمعنى أن الله تكلم به ولم يلهمه الله جبريل ولا محمد بل نزل من الله لأن الإلهام شبه معنوي.

٢. أن بني إسرائيل أخذوا من التوراة مباشرة والله كتب التوراة بيده فلو قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم أخذه من جبريل الذي أخذه من القرآن لصار إسناد بني إسرائيل أرفع من النبي صلى الله عليه وسلم.

لأن بني إسرائيل أخذوا مباشرة من قراءة التوراة أما النبي صلى الله عليه وسلم أخذه عنمن أخذه، وهذا خطأ لأنه بهذا يكون النبي صلى الله عليه وسلم أقل درجة من بني إسرائيل وهو أرفع درجة منهم.

٣. أن قولهم هذا مخالف لإجماع السلف.

ذكر هذه الأوجه الثلاثة أبو العباس بن تيمية كما في المجلد ١٢ ولو لم يكن إلا أحدها لكفى فكيف وهي ثلاثة أوجه قوية في رد قولهم.

مسألة أخيرة تتعلق بعقيدة أهل السنة في القرآن وهي: معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي «اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما».

ذكر أئمة السنة أن الذي يأتي يوم القيامة هو ثواب قراءة سورة البقرة وآل عمران.

قال الإمام الترمذي في جامعه بعد أن ذكر الحديث قال ومعنى هذا الحديث عن أهل العلم أنه يجيء ثواب قراءته كما فسر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبهه هذا من الأحاديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن.

وفي حديث النواس عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على ما فسروا إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم وأهله الذين يعملون به في الدنيا. ففي هذا دلالة أنه يجيء ثواب العمل. ا. هـ. فهذا الترمذي من أئمة السنة ينقل هذا عن بعض أهل العلم ويقره.

وكذا ذكر هذا الإمام أحمد رحمه الله في رده على الجهمية وذكر هذا الإمام ابن تيمية نقلاً عن الإمام أحمد وأقره. فقال رحمه الله تعالى في المجلد الخامس من ص ٣٩٢- بأن حنبلاً نقل عنه في المحنة أنه لما احتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم تجيء البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير... الخ.

ونحو ذلك من الحديث الذي فيه إتيان القرآن ومجيئه وقالوا له لا يوصف بالإتيان والمجيء إلا مخلوق وأحمد وغيره من أهل السنة فسروا هذا الحديث بأن المراد به مجيء ثواب البقرة وآل عمران كما ذكر مثل ذلك من مجيء الأعمال في القبر والقيامة والمراد منه ثواب الأعمال. والنبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اقرأوا البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان...** الخ».

وهذا الحديث في الصحيح فلما أمر بقراءتهما وذكر مجيئها يجاجان عن القارئ علم أنه أراد بذلك قراءة القارئ لهما وهو عمله، وأخبر بمجيء العمل وهو التلاوة لهما في السورة التي ذكرها كما أخبر بمجيء غير ذلك من الأعمال.

ثم قال رحمه الله تعالى: والمقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر بمجيء القرآن في هذه السورة أراد به الإخبار عن قراءة القارئ التي هي عمله وذلك هو ثواب قارئ القرآن وليس المراد به أن نفس كلامه الذي تكلم به وهو قائم بنفسه يتصوره صورة غماتين فلم يكن في هذا حجة للجهمية على ما أدعوه... الخ.

وقد ذكر نحوًا من ذلك في المجلد الثامن ص ٤٠٨- من مجموع الفتاوى وقد تقدم أنه نقل هذا عن أئمة السنة وذكر هذا التفسير أيضًا ابن القيم في كتابه حادي الأرواح وكذا ابن رجب في جامع العلوم والحكم وابن أبي العز الحنفي في شرحه على الطحاوية وكذا الشيخ حافظ الحكمي في كتابه معارج القبول وأئمة السنة ينصون على أن المراد بالمجيء هو مجيء الثواب (القراءة) لا مجيء كلام الله تعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.